الأهوار

طبقة جديدة من المياه العذبة غطت الأهوار، باعثة الأمل في رجوع الحياة مرة أخرى في يوم من الأيام إلى هذا النظام البيئي الشاسع والثقافة الفريدة التي دعمها.

عند القيادة بالسيارة شرقاً باتجاه الحدود الإيرانية من الناصرية، يجد المرء فجأة أن الأراضي الواقعة على جانبي الطريق تنحدر إلى سهل منبسط براق مليئ بالمياه – إنها الأهوار التي أعيدت إليها الحياة من جديد.

قال البعض أن هذا الموقع هو مكان جنة عدن، منطقة تبلغ مساحتها ٨ آلاف ميل مربع سكنها في السابق حوالي مليون شخص من عرب الأهوار أو المعدان قبل قيام صدام حسين بتجفيف الأهوار تدريجيا وقتل آلاف الأشخاص بعد ثورة الشيعة في عام ١٩٩١. فبدلاً من تسريب المياه ببطء إلى الأهوار لري الأراضي وترشيح المياه ودعم الاقصاب والأسماك والعديد من القرى العربية في الأهوار، حولت قنوات التجفيف الجديدة التي بناها صدام نظام مجرى نهري الدجلة والفرات مباشرة إلى البحر.

لقد أدى فقدان أكبر مستنقعات في الشرق الأوسط إلى حرمان ملايين الطيور النازحة من مواطن مهمة لبقائها وشكل كارثة للبيئة على مقياس مماثل لكارثة تجفيف بحر الأرال. أما الآن فقد رجعت المياه العذبة إلى الأهوار. وحال سقوط نظام صدام في العام الماضي، أعاد المهندسون العراقيون فتح الحواجز وأزالوا بعض المجازات الضيقة والسدود التي استخدمت لتجفيف الأراضي ودفع عرب الأهوار إلى مغادرتها. في أوائل تشرين الأول/ أكتوبر، بدأت المياه بالارتفاع على الأراضي الصحراوية المنبسطة القاحلة، مغطية النباتات الشائكة التي لا نفع منها والتي تبرعمت خلال العشر سنوات الماضية حيث كانت تزدهر يوماً الأسماك والطيور والحيوانات.

ساعدت الولايات المتحدة على إحياء قنوات المياه القديمة والقرى التقليدية والزراعة المائية التي لم تنفع فقط عرب الأهوار بل وفرت مصدر البروتين الأول لكل العراق: الدواجن المائية والبيض والجاموس المائي والأسماك واللبن.

لقد تحول بعض عرب الأهوار إلى الزراعة الجافة في أراضي مستصلحة جففت في السنوات العشر الماضية. ولقد وجدوا بأن زراعة المحاصيل هي عملية مربحة ويمكن مشاهدتهم وهم يقودون جراراتهم في الحقول المنسقة على طول الطرقات في جنوب العراق. وقد يعارض هؤلاء إعادة غمر هذه الحقول بالمياه وطلبوا ترك بعض المناطق الجافة على ما هي عليه خلال العقد الماضي.

في حزيران/ يونيو ٢٠٠٣، أرسلت الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية أول فريق مياه وتربة علمي إلى الأهوار لأول مرة منذ سنوات عديدة للتحدث مع القادة المحليين ولتحديد ما باستطاعة الوكالة عمله. في شباط/ فبراير، اجتمع فريق عراقي ودولي، تدعمه الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية في البصرة، ووضع خطة عمل لأراضي الأهوار. وضع البرنامج خطة استراتيجية طويلة المدى لإدارة الأهوار وسيبدأ في إحياء النظام البيئي للأهوار من خلال إدارة محسنة واستراتيجية لإعادة غمر الأراضي بالمياه. وسيقدم البرنامج أيضاً مساعدات اجتماعية واقتصادية لآلاف الأشخاص من عرب الأهوار اثناء عودتهم إلى منازلهم.

عرب الأهوار يجمعون الأقصاب من أراضي الأهوار التي أعيد غمرها مؤخراً بالمياه بعدما تم فتح السدود التي بناها صدام لتجفيف المنطقة للسماح للمياه للتدفق مرة أخرى وإحياء إنتاج الأسماك والطيور والنباتات.

النتائج

- توفير المساعدات الاجتماعية والاقتصادية لسكان الأهوار.
- تمويل مختبرات لفحص جودة التربة والمياه في المركز الجديد لترميم أراضي أهوار العراق.
- دشن برامج استرشادية لتحسين معالجة المياه الفائضة ومياه الشرب.
- تحسين الرعاية الصحية.
- خلق وظائف في مجال إنتاج المسامك والزراعة المائية والماشية وإعادة إنتاج أشجار النخيل.
- تطوير خطة متكاملة لإدارة الأهوار.

قد تقوم عملية عكس التدفق في إحياء قرى الأهوار المهجورة

بن بارباير / الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية

خبير يعمل في شركة آر تي آي اكتشف محطة ضخ رفعت مياه الأهوار فوق حائط ترابي ومنها إلى النهر، وذلك كقسم من الجهود الضخمة المبذولة لتجفيف الأهوار. قامت آر تي آي بعكس هندسة النظام لإعادة غمر هذا الجزء من الأهوار بالمياه.

بن بارباير / الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية

تنتصب بالقرب منها أنقاض قرية نهبت من كل شيء بعد أن هجرها سكانها هرباً من قوات صدام وبعد تراجع المياه عنها. إذا أعيدت كمية كافية من المياه، من الممكن رجوع السكان إلى الأهوار من جديد في يوم من الأيام.